نظرات فى المذاهب الهدامة

(. . ولكن أصحاب النحل الخبيثة وذوى المطامع الخبيثة لم يرضهم فى الزمن الغابر ، ولا يرضيهم فى الزمن الحاضر ، أن يعيش الناس وادعين راضين فى ظلال النظم المشروعة ، فهم يعارضون أوامر الله ووصايا الرسل بتسليط الغرائز وتحكيم الشهوات ، فتمردوا على الدين ، وتحللوا من الخلق ، وتحرروا من القيود .) الزيات

تقوم الحياة الاجتماعية للشعوب والأمم ، على سنة ثابتة من الرقى والتطور التدريجى الذى يسير فى طريق طبيعى منذ القدم . ومن الوهم ، استطاعة نقل حياة الناس من حال إلى آخر بنظام يبتكر أو مذهب يتخيل فيه واضعوه أنه سيطفر بهذه الشعوب مرة واحدة . وقد رسخ فى وهمهم أن الجماعات الانسانية لو قامت على هذه النظم وسارت على تعاليمها ، لوصلت إلى حالة أرقى وعيش أسعد ، مما عليه حياتها القائمة .

وقد انتشر كثير من هذه النظم والمذاهب فى هذه الأيام ، فأطلق أصحاب هذه المذاهب العنان لخيالهم الذى أتى بكثير من الانتاجات التى تعتبر وصمة عار فى جبين الانسانية المتحضرة فى القرن العشرين . والعجيب أن تنبع هذه المذاهب الهدامة والنظريات المتوحشة ، من أوربا المتمدينة التى يدعى شعوبها أنهم أكثر الناس انسانية وحضارة ؛ هذه المذاهب التى تقول بإبادة الضعفاء والمرضى وأصحاب العلل والعاهات حتى لا يبقى إلا الأقوياء القادرون على الكفاح فى الحياة ، فلا يكون أولئك المرضى الضعفاء عقبة فى سبيل التقدم ، بإعالة المجتمع لهم وصرف بعض الجهد فى سبيلهم .

وأكثر هذه المذاهب تطرفا (الشيوعية) التى أخذت تغزو بعض الشعوب فتقلب أمرها رأسا على عقب ، تزلزل بنيانها وتهدم أركانها .

يقوم هذا المذهب على أركان رئيسية ثلاثة : (١) أن تكون أرض الوطن وما عليها ملكا للأفراد والأمة على السواء ، وذلك بمحو الملكية الفردية وإبطال الحقوق المكتسبة بالجهد والسعى . وفى هذا ما فيه من إضعاف روح المجد والطموح إلى العلا . فهم يتوهمون أن الفقر المنتشر بين الطبقات وفى الشعوب سببه سوء توزيع الثروة بين أفراد الشعب ، وهم بهذا يريدون أن يرجعوا بالناس آلاف السنين إلى الوراء يوم أن كانوا فى العصور الهمجية الأولى لا يعرفون شيئا عن الملكية فكانوا يعيشون على ما يصطادونه من الحيوانات أو ما تنبت أيديهم من الأعشاب .

فلما ارتقت عالمهم وزادت معرفتهم بالزراعة والصناعة وغيرها ، عرفوا الملكية فعرفوا ما لهم من حقوق ، وما عليهم من واجبات . فحينما ينادون بمحو الملكية الفردية وإبطال حقوق الأفراد فيما يجمعون ، يريدون على حد زعمهم أن يمنعوا بعض الأفراد من أن يتناولوا فوق ما يكفيهم من الثروة العامة فيكنزوه فى خزائنهم ، ليفرقوه على الذين لا ثروة لهم ، وفاتهم أن هذه الوسيلة عديمة الجدوى ضعيفة الأثر فى تحسين الحالة الاقتصادية وإخراج الناس من الأزمة التى يرزحون تحت كلكلها .

وفاتهم أنهم بعملهم هذا يقضون على روح التنافس المشروع بين الأفراد ويقتلون فى نفوسهم النشاط والرغبة فى العمل ، مادام كل ما يجمعونه سيذهب إلى أيدى غيرهم ممن لم يبذلوا مجهودا ولم تتصبب جباههم عرقا ، ولم يجهدوا عقولهم فى التفكير فيما يجلب لهم المال والثروة . فيتقاعد العاملون ويتكاسل أصحاب الهمم العالية ويصبح الناس سواسية فى الفاقة والاحتياج ، وتعود الخسارة على العالم عامة والوطن خاصة لتوقف المشروعات العظيمة والأعمال النافعة التى يقوم بها ذوو الهمم الجبارة ويتولاها أصحاب الكفايات الممتازة سعيا وراء الكسب المشروع وزيادة ثروة البلاد.

(١) أن تكون الحكومة قيمة على الأعمال قائمة بجميع المشروعات التى تكون كلها ملكا للدولة ، أى حذف رءوس الأموال الفردية . وهم بذلك يستهوون الفقراء ويجتذبونهم إلى صفوفهم لما يوهمونهم به من معسول الكلام ، بأن العمل بهذا سيجعلهم فى رغد من العيش ويحسن حالهم ، ويقضى على هذا العدو الناشب أظفاره فيهم كما يقول عالم من علماء الاقتصاد الروس « إن الفقر لا يعالج عن تقسيم الثروة بين الناس لسببين واضحين:

أحدهما أن الثروة التى يراد تقسيمها لا تكفى حاجات الناس جميعا . وقد عرف ذلك عن طريق الاحصاءات . فلو صودرت

الأرباح الفردية التي تزيد عن ١٠٠٠٠ فرنك ووزعت بين الذين يقل دخلهم عن هذا المقدار ، فإن كل فرد لا يحصل على أكثر من ١٢ ٪ من دخله تقريبا ، وبما أن الناس لا يصلون إلى رغد العيش المرجو إلا إذا ارتفع دخل كل منهم إلى عشرة أضعاف ما يحصل عليه حاليا ، عرفنا أن مشكلة الفقر لا تعالج بتقسيم ثروة الأغنياء على الفقراء. فالعامل الذي دخله خمسة فرنكات ويشكو الفاقة والعوز ، فإن حاله لن تتغير عما هي عليه إذا حصل على الـ ١٢ ٪ التي تحصه من الاستيلاء على أموال الأغنياء ، وذلك لأن دخله لا يرتفع في الحالة الثانية أكثر من ربع فرنك يوميا وهذا فرق ضئيل لا يأتي بالتحسين المطلوب الذي يقصد من تقسيم الثروة بين أفراد الشعب جميعا .

والسبب الآخر أنه إذا كان دخل أحد الناس في السنة ٥٠ مليونا من الفرنكات وصودر هذا المبلغ لتوزيعه على الفقراء المحيطين به فإن كلا منهم لا يحصل على أكثر من فرنك ، وهذا مقياس لجميع الأغنياء ، كما أنه لو أفاد هذا العمل مرة فلن تتكرر عنه الفائدة فمن سيدفع عن الفقراء حاجاتهم التي تتجدد يوما بعد يوم ؟

ذلك لأن الشخص الذي كافح وجاهد واكتسب الـ ٥٠ مليونا لن يعمل على كسب مثلها في السنة التالية لأنه حرم لذة هذا الجهاد وحرمت عليه ثمرة ما بذله ، فيكتفي بما يسد به حاجاته الشخصية ويكفل له العيش » ثم يقول : « إن حالة البشر المعيشية سيئة جدا ، وإننا فقراء مدقعون وذلك لأن منتجات الأرض السنوية تعجز عن سد حاجة البشر من الغذاء والملبس. فهل هذا لأن الأرض لا تنتج ما يفي بما هو ضروري لنا ، إن كان الجواب على هذا بالإيجاب فعلينا أن نرضى بحظنا من الحياة وما قسمه الله لنا ، وأن نعتبر أن الفقر كالموت أمر لا مفر منه ولا محيص عنه ، ولكن لحسن الحظ أن هذا الافتراض لا نصيب له من الصحة لأن الأرض في مقدورها أن تدر علينا من المحصول عشرة أضعاف ما تنتجه حاليا ، وأن في قدرة الفرد أن يحصل على عشرات أضعاف دخله ، لأن ينابيع الثروة لا حد لها على الاطلاق . . »

٣ـ الركن الثالث أن الدين ألد أعداء الشيوعية وما يتبعها من المذاهب الهدامة ، المتسلطة على عقول العامة ، لأنه يدعو إلى مبادىء تخالف الشيوعية وتحارب مبادئها التي تعمل على جعل الأرض فردوسا موهوما على أشلاء ضحايا البشرية؛ لذلك يعمل الشيوعيون على استئصال أثر الدين من نفوس المجتمع ، لأن الذي يؤمن بالدين يستحيل على المبادىء الهدامة أن تجد لها مكانا من نفسه ومن تفكيره . وفي هذا يقول أبو الشيوعية كارل ماركس في تعاليمه : (إن الدين هو تنهدات الجماعة المظلومة) أي أنه لولا ما يقع على هذه الجماعات الفقيرة من ظلم واضطهاد لما التجأوا الى حظيرة الدين يطلبون حمايتها ، وعلى هذا الزعم الباطل ، لو محى الظلم من بين هذه الطبقات بالوسائل التي يدعو اليها ، لما وجد للدين أثر بين الناس .

ويقول غيره من الداعين إلى هذه المذاهب : (لا يتولد الدين إلا تحت تأثير النير الاقتصادي ، ولا يكون ذلك إلا في المجتمعات التي تقوم على أساس الطبقات) ثم يقول: (إن الشروط الاجتماعية التي كانت تنشأ عنها العقائد الدينية قد بادت ، وأن الدين قد أضحى كائنا ميتا لا حياة فيه ولا أثر له في اقتصادنا ونظامنا الاجتماعي الذي تتطلبه حياة التقدم والرقي .) (١)

***

هذه هي المفتريات التي يوجهها هؤلاء الواهمون إلى القوانين السماوية ، ليجتثوها من النفوس فيصبح العالم فوضى لا ضابط له ولا نظام فيه ، وهي مفتريات باطلة ، كما يراها المتأمل في التعاليم الدينية بعين البصيرة ، البعيدة عن الأهواء والزيغ ، فإن الذين يرزحون تحت كلاكل الظلم ، والذين يعيشون في أمن ودعة ، يستوون عند عاطفة التدين ، وكثيرا ما نرى ذوي السلطان وأصحاب الأموال ومن يتمتعون بمكانة اجتماعية ممتازة ، أكثر تمسكا بالدين من أولئك الفقراء المظلومين ، بل هناك من الملوك والأمراء من نزلوا عن عروشهم وتنازلوا عن إمارتهم تورعا في

---

١ — نسي هؤلاء أو تناسوا أن الدين هو الدافع الأول في أكثر الأمم المتمدينة إلى بلوغها أرفع الدرجات من مختلف العهود ، بل إن كثيرا منها من طال عليه عهد الجمود ، فما نهض إلا على أسس دينية كما حدث في الأمة العربية التي نفخ فيها الإسلام وتعاليمه روحا بلغت بها أوج العظمة والسؤدد .

وغير الأمة العربية كثير هي التي استمدت مدنيتها من تعاليم الدين فوصلت إلى ما تريد .